التربية

تعريف التربية:

ماهي التربية؟ هل هي التنشئة أو التثقيف؟ أم هي التعليم والتعلُّم. لقد اختلفت في البداية نظرة العلماء والمفكرين حول معنى التربية وسنعرض في الأسطر التالية أهم الآراء والتعريفات التي أوضحت معنى التربية ومفهومها:

ترجع كلمة (التربية) في أصلها اللغوي إلى الفعل (رَبَا يَرْبُوْ) أي: نما وزاد ومصداق ذلك قوله تعالى ﴿ **وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربَتْ** ﴾ سورة الحج آية (٥) أي: نمت وزادت ويكفي التربية شرفاً أنها مشتقة من اسم الرب عز وجل فإن الرب هو المربي، والرب هو الذي يرب عبده فيعطيه خلقه ثم يهديه إلى جميع أحواله[١]، ولقد جاء في الأثر « أدبني ربي فأحسن تأديبي » وقد أوصى الله تعالى الإنسان بوالديه وقرن عبادته بالإحسان إليهما والدعاء لهما﴿ **وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً** ﴾ الإسراء : الآية (٢٤) .

وحينما نتحدث عن فرد من الناس فنقول رُبِّي في بيت أو قبيلة، أو بين أفراد عشيرة من العشائر فإننا نعني بذلك أنه نشأ وترعرع ونما جسدياً وعقلياً وخلقياً. ومصداق ذلك قوله تعالى﴿ **قال ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين** ﴾ الشعراء : (١٨) .

وفي المعجم الوسيط عُرِّفت كلمة (رَبّاه): بمعنى نمّاه ـ ربّا الولد: وليه وتعهده بما يغذيه ويؤدبه. وفي حديث ابن عباس مع ابن الزبير « لئن يربني بنو

(١) ابن تيمية: كتاب التوحيد، ص ٧٣ ، ص ١٠٤ .

وتعهده بما يغذيه ويؤدبه. وفي حديث ابن عباس مع ابن الزبير «لئن يربني بنو عمي أحب إلي من أن يربني غيرهم»(١). ومنه أيضاً قول ابن الأعرابي:

«ومن يَك سائلا عني فإني.... بمكة منزلي وبها ربيت».

التربية إذن هي عملية التكيف مع البيئة المحيطة، وهي عملية إنسانية أساسها الإنسان الذي يعيش في تلك البيئة ويتفاعل معها. وهو في عملية التفاعل هذه ينمو نحو الأفضل. ولذلك نجد أن «ديوي» المفكر التربوي الأمريكي الشهير يعتبر أن التربية هي: عملية النمو والاستزادة من الخبرة. بينما يعتقد «أفلاطون» بأن التربية هي: الفضيلة وأن الهدف الأساسي من التربية هو إصلاح الفرد والمجتمع والوصول إلى معرفة الخير، وطبع النفس الإنسانية على الحق والخير والجمال والمواطنة الصحيحة(٢).

ويعرف دور كايم التربية بأنها الإجراء الذي يمارسه الجيل الأكبر سناً على الأجيال التي لم تستعد بعد للحياة الاجتماعية وهدف التربية إيقاظ وتنمية تلك الجوانب والبيئة التي أعد من أجلها(٣).

أما التربية في نظر الفيلسوف الألماني «إمانويل كنت» فهي: ترقية لجميع أوجه الجمال التي يمكن ترقيتها في الفرد، بينما يرى «بستالوزي» المربي السويسري أن ا لتربية هي: إعداد بني الإنسان للقيام بواجباتهم المختلفة في

---

(١) المعجم الوسيط ـ إخراج «إبراهيم مصطفى وآخرون» المكتبة العلمية ـ طهران ص ٢٢١ .

(٢) إبراهيم ناجي، فكرته في التربية ١٩٢٥ م.

(٣) فينكس ـ فلسفة في التربية.

الحياة أو أنها تنمية كل قوى الطفل تنمية كاملة وملائمة. لكن «فروبل» منشئ رياض الأطفال يرى أن التربية عملية تتفتح بها قابليات التعليم الكامنة كما تتفتح النباتات والأزهار وفي نفس العصر وجد «ستيورت ميل» (١٨٠٦م - ١٨٧٢م) وكان يرى أن التربية تشمل كل ما يعمله المرء بنفسه أو ما يعمله غيره له بقصد تقريبه من درجة الكمال التي تمكنه طبيعته واستعدادته من بلوغها. غير أن «هربرت سبنسر» كان يرى أن التربية هي إعداد الفرد لأن يحيى حياة كاملة. يتم فيها صوغ وتكوين فعالية الأفراد ثم صبها في قوالب معينة وتحويلها إلى عمل اجتماعي مقبول من الجماعة(١).

ويعرف «فينكس» التربية بأنها عملية قصدية يتم عن طريقها توجيه الأفراد الإنسانيين لنمو الأفراد الإنسانيين. أما «جان جاك» روسو فإنه يعرف التربية بأنها التنمية الكاملة للرجولة(٢).

ورغم تعدد التعاريف وتنوعها إلا أننا نستطيع أن نخلص إلى الحقائق التالية:

١) إن الله عز وجل هو المربي على الإطلاق فهو الذي خلقنا وأوجدنا من العدم وشرع لنا شرائعه التي تناسب طبيعتنا والتي إن تمسكنا بها لن نضل أبداً ونبلغ بها درجة الصلاح والكمال.

٢) إن عمل المربي تالٍ وتابع لخلق الله وإيجاده كما أنه تابع لشرع الله ودينه. ودوره هنا هو توجيه فطرة الفرد المسلم ومواهبه واستعداداته نحو الخير والصلاح.

٣) إن التربية هي عملية نمو وتفاعل بين الإنسان ومجتمعه من أجل مستقبل أفضل له ولخير أمته، وعقيدته، ووطنه(٣).

---

(١) إبراهيم ناجي، فكرته في التربية ١٩٢٥ م. (٢) فينكس - فلسفة في التربية.

(٣) عبد الرحمن نحلاوي - أصول التربية الإسلامية ص ١٤.

أصول التربية

إن لكل مجتمع إنساني في أي زمان أو مكان بناءه الاجتماعي وثقافته التي يتميز بها عن غيره من المجتمعات، وله تركيبه السياسي والاقتصادي، وله عقيدته وتراثه وقيمه، التي ينشأ حولها فكره وتفكيره وله عاداته وتقاليده ومُثُله العليا التي تنبثق منها توجهاته الفكرية وانتماءاته العقائدية لذلك نجد أن التربية حينما تصوغ أهدافها ومبادئها فإنها تسعى جاهدة لأن تكون هذه الأصول متلائمة مع عقيدة المجتمع وفكره والقيم التي يؤمن بها فتعمل على تربية الإنسان في إطاره الاجتماعي بواسطة الأهداف والغايات التي تحددها الفلسفة العامة للمجتمع والمبادئ الأساسية التي تؤمن بها الأمة والمعتقدات التي يعتنقها أفرادها إذ بدونها تفقد أهداف التربية المصدر الأساسي لها.

وللتربية بناء على ذلك أصول متعددة هي كالتالي: -

الأصول الفكرية والعقائدية:

تستمد التربية أسسها ومناهجها وأهدافها من المجتمع ومن ثقافته باعتبار أن عملية التنشئة التي تجريها التربية إنما تحقق عضوية ا لجيل الجديد في المجتمع ترسخ انتماءه لفكر أمته وعقيدتها، وعاداتها وقيمها والأعراف السائدة لديها.

وأمتنا الإسلامية التي شرفها الله بالإسلام وجعلها خير أمة أخرجت للناس تستمد أصولها التربوية من القرآن الكريم والسنة الشريفة لما يحتويان عليه من أصول تربوية معينة تشكل أسس الفكر التربوي وتميزه عن غيره من الثقافات

المختلفة. ولقد جاءت هذه الأصول لتقيم نظاماً تربوياً فريداً في ذاته متميزاً في محتواه ، نظاماً ينبثق من أصول تسمح بالاجتهاد وتساير التطور، وتلبي حاجات المجتمع لإنشاء جيل مؤمن بعقيدته ملتزم بها، متفاعل مع مجتمعه عامل من أجل خيره وخير أمته. إن الأساس الديني والفكري للتربية الإسلامية يحدد في أول آية نزلت على رسول الله ﷺ وسلم في غار حراء لتبين بوضوح وجلاء المعنى الأساسي للتربية الإسلامية وتميزه عن فلسفات التربية الأخرى ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ (سورة العلق آية ١).

إن أيّ متصور للأساس التربوي الإسلامي يجد أنه جاء لتربية المسلم على الإيمان الصحيح وعبادة الله وخشيته في السر والعلن وبلوغ الفضيلة وكمال النفس عن طريق العلم بالله عز وجل وحسن التوجيه إلى الحياة الخيرة الفاضلة وتنمية العقل وطلب العلم، فالعلم فضيلة وفضيلته هي التقرب من الله تعالى﴿ **إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ** ﴾ أما في الدنيا فثمرته العز والوقار والاحترام وبلوغ المكانة والبعد عن السؤال.

إن من مبادئ الأصول الدينية إيجاد التوازن بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة ﴿ **وابتغ فيما آتاك اللهُ الدارَ الآخرة ولا تنسَ نصيبك من الدنيا** ﴾ (القصص، آية ٧٧) وهذا التوازن يميز التربية الإسلامية عن غيرها فهي ليست تربية صوفية رهبانية، كما أنها ليست تربية مادية أو وجودية ولكنها مزيج متوازن من كل ذلك في موقف وسط يجعلها أقرب ما تكون إلى طبيعة الأشياء فخير الأمور الوسط ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً** ﴾(البقرة آية ١٤٣).

إن الأساس الديني في الشريعة الإسلامية يربي الفرد المسلم على نبذ التعصب أو التمييز العرقي أو الاجتماعي فلا شعوبية في الإسلام ولا فضل

لعربي على أعجمي إلا بالتقوى وصالح العمل وذلك مصداقاً لقوله تعالى ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾(الحجرات آية ١٣). هذا أساس يؤدي إلى تربية لا تختص بها فئة من الناس وتحرم منها فئة أخرى، كما نشاهد في الغرب من تمييز عرقي بين البيض والسود، أو جعل التعليم متاحاً للرجال دون النساء، والنبلاء دون الناس العاديين، وما يؤمن به بعض فلاسفة الغرب من أمثال (جون لوك) الذي طالب بأن يقتصر التعليم على الأغنياء دون الفقراء ورمز لهم بذوي الياقات البيضاء ، بينما نجد أن الإسلام جعل ذلك مشاعاً للجميع فلا يقتصر على طبقة مميزة دون طبقة، وإنما يتساوى فيه جميع أفراد الأمة رجالاً ونساء وأطفالاً وشيوخاً، قال ﷺ :(طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة).

الأصول الفلسفية:

الفلسفة علم يهتم بدراسة أصول الحياة والفكر والعلوم وكل ما له علاقة بالإنسان وتحقيق رقي فكره وتنمية عقله إن الموضوعات التي تبحث فيها الفلسفة والمسائل التي تحاول حلها لَعَديدة فكل ما هو علمي أو يترتب عليه فائدة علمية مفيد للإنسان(١).

أهمية الفلسفة في التربية تنبع من كونها مسؤولة عن تعيين الأهداف والغايات التربوية المراد تحقيقها، والوسائل العامة الملائمة لذلك، كما أنها مسؤولة عن تحديد وتفسير الغايات القائمة والوسائل المتاحة للنظام التعليمي. إذ لا يكفي لأية فلسفة في التربية أن تقتصر على مجرد تحديد الأهداف التربوية ذلك أن الأهداف تظل غامضة وخالية من المعنى ما لم يفصل المقصود

---

(١) أحمد أمين ـ مبادئ الفلسفة دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٨ ص ١٤١

بهذه الأهداف وتوضح الطرق الرئيسية لتحقيقها. وفلسفة التربية تنطلق الى أبعد من ذلك إذ تقوم بتقديم طروحات مختلفة ووسائل متنوعة من أجل تطوير النظام التعليمي في ضوء المستجدات والمتغيرات المتعددة التي تحيط بهذه النظم. كما تقوم بدور المحلل الناقد فالتربية حقلٌ معملي تتضح فيه التميزات الفلسفية. وإمكانية اختيارها وفحصها واختيار المفيد والمناسب منها للنظام التعليمي الذي تخدمه(١).

وتعتمد الفلسفة التربوية على مفاهيم نظرية تساعد رجال التربية والتعليم على التفكير في قضايا التربية ومشكلاتها بصورة واعية ومنظمة. وتمكنهم من تصور التفاعل بين الأهداف والأغراض التربوية والمواقف التربوية المحددة، والربط بينها لتوجيههم نحو اتخاذ القرار الصحيح، مع فهم ورؤية عميقة للأهداف والتحرك نحو تحقيقها(٢).

إن الاتجاهات الحديثة في فلسفة التربية تميل إلى الاستفادة من التراث القديم ودراسته باعتبار أن فهم الحاضر فهماً سليماً يتطلب الرجوع إلى الماضي المتعلق به. وهذا يعني أن دراسة المناهج القديمة ليست هي غاية في ذاتها بل هي وسيلة لبلوغ هدف تربوي مناسب للمرحلة التي توصَّل إليها العلم الحديث ومناسب لأنماط الحياة الحاضرة ونابع من الفلسفات الحديثة للتربية(٣).

لذلك نجد أن الفلسفة تُعنى بدراسة تطور الفكر التربوي عبر العصور

---

(١) محمد عبد الهادي عفيفي - في أصول التربية - مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٤ ص ٥٢

(٢) محمد منير مرسى - أصول التربية الثقافية والفلسفية - عالم الكتب، القاهرة عام ١٩٨٤ - ص ١٦٢

(٣) د. إبراهيم ناصر - مقدمة في التربية - عمان - الأردن ١٩٨٨ ص ١٦٤.

المختلفة من خلال كتابات الفلاسفة الذين اهتموا بالتربية وأولَوْها جلَّ عنايتهم مثل أفلاطون، وأرسطو، وجان جاك روسو، وجون ديوي.. إلخ وذلك من أجل تمكين دارس الفلسفة التربوية من تكوين نظرة واسعة للمشكلات التربوية وتتبع الأفكار المعاصرة في أصولها التاريخية.

إن الفلسفة التربوية التي يُبلْورها الفلاسفة والمفكرون التربويون هي النسق الفكري المتكامل الذي يناقش قضايا المجتمع التربوي ويضعها في قالبها الصحيح، ففلسفة أفلاطون وفلسفة جون ديوي مثلاً كانت كل منهما ترى أن التربية هي: الأسلوب العملي لترجمة قِيَم هاتين الفلسفتين إلى سلوك في الأجيال المختلفة وهذا هو السبيل إلى نقل الفلسفة من مجالها النظري البحت إلى مجالها العملي التطبيقي. ومن هنا يمكن القول بأن للتربية أصولاً فلسفية تستند إليها، توضح لها مفاهيم المجتمع وطبيعته والطبيعة البشرية التي تعدها له. ومفاهيم خاصة بالقيم التي تؤمن بها لتنشئة الأجيال عليها، وهذا الانتقاء الخلقي للقيم يبرز أهمية الفلسفة في التربية ويعلي من شأنها(١).

الأصول النفسية:

إن من أول الأمور التي تحرص عليها التربية وتوليها جلَّ عنايتها هي معرفة طبيعة الإنسان ودراسة نفسيته ليسهل عليها توجيهه التوجيه السليم بواسطة الوسائل والطرائق التي توافق نفسيته وتتلاءم معها، وهذه كلها يوفرها علم النفس باعتباره قادراً على تقديم الحقائق المختلفة عن اتجاهات النمو، وخصائص السلوك،ووسائل التعليم الصحيحة.

---

(١) د. محمود السعيد سلطان ـ مقدمة في التربية ـ دار الشروق ـ جدة ١٤٠٨ هـ ص ١٩.

ويقوم علم النفس بدور توليد المعرفة الخاصة بالتعليم والطلاب وتنظيمها على نحو منهجي وثيق الصلة بالطلاب والتعليم، ومع صياغة هذه المعرفة في أشكال تمكن المعلمين والتربويين من استخدامها وتطبيقها وإجراء الاختبارات والبحث لمعرفة مدى صحتها وفعاليتها وأثرها في العملية التربوية مع إدخال التعديلات اللازمة لتطوير طرق التعليم ووسائله لتحقيق أفضل النتائج التعليمية(١).

إن عملية التعلم عملية معقدة تشمل أنواعاً مختلفة من النشاط والخبرات الكثيرة ودور علم النفس هو مساعدة المتعلم على تعديل سلوكه تعديلاً يساعده على حل المشاكل التي تصادفه، ويمكنه من تحقيق مزيد من التكيُّف مع البيئة الطبيعية والاجتماعية(٢).

ويقوم علم النفس بدراسة الجانب السلوكي للمتعلم في الأوضاع التعليمية المختلفة فهو يبحث في طبيعة التعلم ونتائجه وقياسه، وفي خصائص المتعلم النفسية والحركية، والانفعالية والعقلية وكل ما له علاقة بالعملية التعليمية، كما يبحث في الشروط المدرسية والبيئية التي تؤثر في فعالية هذه العملية، ويلجأ علماء النفس التربويون إلى استخدام أنواع مختلفة من مناهج البحث، كالمدارس التجريبية التي تلحق بالجامعات، وعمليات الملاحقة المباشرة التي تجري في الصف المدرسي وتتناول الطلاب والأطفال(٣).

---

(١) د. عبد الحميد نشواتي ـ علم النفس التربوي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠٧ هـ ص ١٦ .

(٢) د. يوسف القاضي ـ التعليم نفسياً وتربوياً ـ دار اللواء ـ الرياض ١٣٠٨ هـ ٣٢

(٣) د. عبد الحميد نشواتي ـ مرجع سابق ص ١٢٠ .

يؤكد علم النفس على أهمية التفكير ووظيفة المدرسة في تنميته، فالحياة العقلية ضرورة حتمية لديمومة المعرفة العلمية الصحيحة لأنها الأمل في الوجود الإنساني، والقدرة على التعقُّل تنمو في بيئة التفكير العلمي السليم الذي يعتمد على المعرفة المشتركة والتفاعلات الاجتماعية في المدرسة وخارجها، وما تقدمه المدرسة من قيم ومبادئ لإذكاء طموح المتعلم على التفكير السليم وتطوير قدراته العقلية على الحكم الناضج، وتنمية ذكائه وتغذيته ، وإنتاج جيل يمتاز بالتمكن والقدرة على توجيه حياته الوجهة الصحيحة عن طريق الاختيار الذكي من بين الاحتمالات المختلفة التي قد تؤثر على حياته ومستقبله(١).

إن كثيراً من النتائج للتجارب العلمية التي أجراها علم النفس كان لها أثر كبير في تطوير التعليم وهي جديرة بالثقة لاتّصافها بالدقة بقدر يمكن للتربية الاعتماد عليها بل أثبتت قيمة خاصة وشأناً في هذه المرحلة التي أصبحت الحاجة فيها ماسَّة إلى برامج منوعة تنوعاً كبيراً تلبّي مطالب الحياة الحديثة وترضي أذواق كل فرد وقابلياته وذكائه(٢).

الأصول التنموية:

التنمية عملية تحويل عامة هدفها الإنسان، عقله، فكره، وقدراته ، بقصد تطويرها نحوالأفضل، وهي عملية تسعى لتحقيق التوافق الاجتماعي بين أفراد المجتمع وتفاعل الإنسان والبيئة بكل أبعادها المختلفة، التربوية، الاقتصادية، والاجتماعية.

(١) د. محمد عبد الهادي عفيفي ـ مرجع سابق ص ٢٢٠

(٢) د. عبد الله عبد الدايم ـ التربية التجريبية ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٧٩ ـ ص ٤١٣ .

وتحمل التربية دائماً معاني اقتصادية وإن بدت عملية ثقافية مجردة في بعض الأحيان، فهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بظروف المجتمع الاقتصادية والاجتماعية وتعبر عن آماله وتطلعاته وتقترن بطموحاته ورؤاه المرحلية والمستقبلية وتعمل جاهدة على انسجام أهدافها وتناغمها مع خططه وأمانيه نحو التطور والنمو.

إن الإنسان هوغاية التربية كما هو غاية التنمية للبناء والتطور وسيلتها سواء كانت تتعلق ببناء الإنسان ذاته، أو بناء المجتمع الذي يعيش فيه. ويُعرِّف الدكتور (هانسون) التنمية بأنها: عملية الارتقاء بمستوى الإنسان ارتقاءً تتضافر فيه جهود الأمة أفراداً وجماعات، منظماتٍ ومؤسسات على كافة المستويات من أجل تحسين مستوى الحياة ورفع مستوى الأمة من حالة ا لركود والتخلف إلى حالة النمو والتقدم(١).

وتخدم التربية الخطط التنموية في كافة المجالات عبر المؤسسات المختلفة للمجتمع هادفة إلى تحويل الأفراد إلى طاقات منتجة وإكسابهم خصائص مميزة تساعد على إدماجهم في الحياة العامة، فهي عملية تحويل دائمة ومستمرة طول الحياة، وهي عملية إنجاز وإعداد أفراد وكوادر بشرية منتجة كمّاً وكيْفاً بما يتلاءم مع طموحات المجتمع وتأييده.

إن التنمية في معناها الحق العميق بناء مشروع حضاري متكامل يتوافر فيه التوازن بين الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ولا سبيل للتنمية الحقة إلا إجزال عطاء الموارد البشرية وتفتيح إمكاناتها المختلفة بالإضافة إلى الموارد الأخرى من أجل تحقيق ذاتية مستقلة، تسعى إلى بناء حضارة جديدة عن

(١) التربية والتقدم الاجتماعي: جون هانسون ـ كول برمبَك ـ ترجمة ـ محمد لبيب النجيعي. «نهضة مصر للطباعة ١٩٧٩ ـ ص ٥٣ .

طريق إعداد إنسان جديد وهذا لن يتم إلا بمؤازرة التربية وعونها فالتنمية تضع الخطط وتقترح البرامج والتربية تصوغها في أنشطة وفعاليات تنفيذية لها.

وحول هذا الموضوع يعلق الدكتور عبد الدايم بقوله:« وفي عصرنا العلمي والتكنولوجي في عصر التطور العلمي والحاسبات الإلكترونية من الصعب أن يكون هناك فرق بين التكنولوجيا والحياة المهنية والتربية، لا يجوز لهذه الأنظمة أن تؤلف نظما معزولة بعضها عن بعض، لقد أصبحت هذه الميادين بحكم التطور الاقتصادي والاجتماعي العالمي، مظاهر متكاملة لنظام مُتَّحد جديد، حيث إن العديد من المؤسسات الصناعية ومن الشركات الاقتصادية في العالم المتطور وضعت برامج للدراسة، والإعداد في قلبها، وإنّ وزارات ودوائر كثيرة غير وزارة التربية والتعليم قد أصبح لها دورُها المتزايد في رسم السياسات التي تضعهاوزارة التربية والتعليم، وفي إبداء مقترحات حول التعليم المدرسي والبنية الأساسية لنظامه وأهدافه[1].

(١) عبد الله عبد الدايم ـ التربية وتنمية الإنسان في الوطن العربي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ١٩٨٨ م، ص ١٢.

مفهوم التربية

تختلف النظرة إلى التربية من مجتمع إلى آخر ، ومن أمة إلى أخرى، ومن عصر لعصر فالتغير هو صورة الحياة، والاختلاف هو طبيعة البشر وناموس الكون ومن النادر أن نجد أمة من الأمم أو شعباً من الشعوب يتفق كلية مع غيره في فكره وتفكيره ورؤاه حول قضاياه وأموره المصيرية، وسنوضح فيما يلي بعض المفاهيم المختلفة للتربية:

[١] التربية تنمية الفضيلة والأخلاق الحميدة:

لقد كان مبدأ الفضيلة وتنمية الأخلاق الحميدة والسلوك المتزن والمواظبة الصالحة من أهم أهداف التربية اليونانية، كما يظهر ذلك في فكر « أفلاطون » و« أرسطو »، كذلك في الفكر الغربي نجد أن (سانت ثوماس أكويناس) يؤكد بأن الهدف من الحياة والتربية هو تحقيق السعادة عن طريق غرس الفضائل العقلية[١] باعتبار أن الأخلاق أساس التعامل وعنوان الأمم ورمز تطورها وبقائها. كما قال الشاعر:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولقد عنيت التربية الإسلامية بالأخلاق أجلّ عناية، فنجد أن الله سبحانه وتعالى يخاطب المصطفى ﷺ بقوله: ﴿ **وإنك لَعَلى خلُقٍ عظيم** ﴾. (القلم.آية ٤)

---

(١) محمد منير مرسي مرجع سابق ص ١٣ .

[٢] التربية إعداد للمستقبل :

ينظر أكثر العلماء التربويين إلى التربية على أنها إعداد كامل للحياة المستقبلية ويُعتبر (هربارت سبنسر) أحد الرواد في ذلك فقد كان يعتقد بأن التربية هي : إعداد الفرد للحياة الكاملة ليتكيّف مع المجتمع ويتعلم كيف يحافظ على ذاته وتمكنه من كسب قوته، والمحافظة على بقاء الجنس والنوع[١] .

كما أن « جون لوك » يعتقد بأن هدف التربية هو إعداد الفرد للمستقبل إعداداً متكاملاً يشمل الناحية الجسدية والعقلية والخلقية ليكون فرداً صالحاً منتجاً فعالاً . أما « براميلد » فيقول : إن المستقبل يجب أن يصبح في معناه العميق المبدأ الزمني الموجه للتعليم العام[٢] .

[٣] التربية هدف اجتماعي :

يهدف الغرض الاجتماعي في التربية إلى إعداد الفرد ليعيش في مجتمعه ويتعامل مع أفراده تعاملاً صحيحاً يعود عليه وعلى مجتمعه بالخير والفائدة وأن يكون قادراً على معايشة من حوله ومبادلتهم الاستعداد للتعاون والتضحية والتكافل الاجتماعي .

ويقول (باجلي) بأن مميزات المبدأ الاجتماعي للتربية هو قدرة الفرد على إعالة نفسه اقتصادياً ولا يصبح عالة على الآخرين . والتضحية بمصالحه الشخصية إذا تعارضت مع الكفاية الاقتصادية للآخرين . والتضحية كذلك برغباته إذا تعارضت مع رغبات المجتمع[٣] .

---

(١) عبد الله عبد الدايم ـ تاريخ التربية ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٧٣ ص ٤٨٣ .

(٢) المرجع السابع ص ٣٥٩ .

(٣) صالح عبد العزيز ـ التربية الحديثة مادتها مبادئها تطبيقاتها العملية ـ القاهرة ـ دار المعارف ١٩٦٩ ص ٣٣

[٤] التربية استثمار بشري :

تربية الإنسان وتعليمه استثمار جيد له ولمجتمعه وتعود نتائج ذلك عليه وعلى مجتمعه بنفع وفائدة كبيرة تضاهي الفوائد التي يجنيها المجتمع من الاستثمارات الاقتصادية الأخرى كالزراعة، والصناعة ورأس المال.

لقد لاحظ « شولتز » العالم الأمريكي أن معدل نمو الاقتصاد الأمريكي قد تجاوز العائد من المدخرات المتزايدة في ا لأمور التقليدية للاستثمارات وببحثه عن سبب هذا الاختلاف تبين له أن ذلك عائد إلى الاستثمارات المضافة في تربية الناس والزيادة الناتجة في معرفتهم وإنتاجهم.

إن المصادر الإنسانية المتعلمة المستثمرة في النشاط الاقتصادي تنتج الثروة المتزايدة وأكبر دليل على ذلك اليابان فهي رغم فقرها في المواد الأولية إلا أنها أصبحت من أعظم الدول الصناعية في العالم وأخذ اقتصادها ينافس اقتصاد العالم الصناعي الغربي، وعملتها تعلو وتتفوق على كل العملات . كل ذلك عائد للتعليم واستثماره للطاقة البشرية والاستفادة من إمكاناتهم وإبداعاتها فحققت لليابان سمعة اقتصادية وعلمية لم تعد تخفى على أحد . إن أحسن استثمارات الإنسان كما تدل الدلائل ـ هي استثماره لنفسه(١).

[٥] التربية تطبيع اجتماعي :

التربية عملية تطبيع اجتماعي يكيّف الإنسان بواسطتها نفسه مع محيطه ويكيّف محيطه معه. فالتطبيع يبدأ مع الطفل منذ ولادته حين يزوده المجتمع

---

(١) جون هانسون ـ وكول س برمبك التربية والتقدم الاجتماعي والاقتصادي للدول النامية ـ ترجمة الدكتور محمد لبيب النجيعي ـ مؤسسة فرانكلين للطباعة ١٩٧٦ ص ١٧٦ .

بخبراته وطرائقه في العيش ومعارفه ثم يخرج للحياة ومؤثراتها فيواجهها. ومع تطور الحياة ونموها ينمو الإنسان معها ويتطور وتتطور تبعاً لذلك عاداته وطرائقه، وأساليبه. فإذا استطاع التلاؤم والتكيف معها ـ وهذا هو جوهر الحياة ـ ولب العملية التربوية ـ فإنه سيرقى ويتقدم إلى ما هو أفضل ومن هنا كانت التربية الحديثة بقيادة «سبنسر» «وجون ديوي» التي رفضت مبدأ تلقين الطالب المعلومات والمعارف واستبدلت ذلك بالحرص على تنمية شخصيته وتمكينه من اتخاذ المواقف الصحيحة والقدرة على مواجهة الظروف الجديدة فيتكيف وإياها ويبتكر لها ما تحتاجه من استجابات وتصرفات وأفعال[1].

[٦] التربية عملية مستمرة مدى الحياة:

إن الثورة العلمية والتكنولوجية وسيل المعلومات الهائل الذي يتضاعف ويتجدد مرة كل ثلاثة أعوام، ووجود شبكة هائلة من وسائل الاتصال والإعلام والآثار التي تتركها في حياة الفرد والمجتمع بالإضافة إلى العديد من التيارات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية، أبرزت نهجاً جديداً لتربية الفرد يختلف عن النهج التقليدي الذي تميزت به التربية في الماضي، وظهرت تربية اليوم بمفهوم جديد هو مفهوم التعليم المستمر أو التربية مدى الحياة.

ويعرف (باركلي) التعليم المستمر بأنه (النشاط التربوي المناسب الذي تقدمه جهة تربوية رسمية لخريجي الجامعات أو أي برنامج آخر يؤدي إلى الحصول على دبلوم أو درجة جامعية). ويعرف «جون برما» التعليم المستمر

(١) الدكتور فاخر عاقل ـ معالم التربية ـ دار العلم للملايين ـ بيروت عام ١٩٧٨ ص ٢٤ .

معناه « أن نقدم فرصاً تعليمية للكبار في المجالات المهنية والإدارية والتنفيذية ليتمكنوا من تحقيق النموالمهني والوقوف على نتائج آخر الأبحاث والتطورات في مجالات أعمالهم(١).

ويعتبر مفهوم التعليم المستمر من أبرز المنطلقات التي ارتكزت عليها الإستراتيجيات التي نادت بها « اليونسكو » العالمية في محاولتها تطوير التربية في عام التربية العالمي(١٩٧٠) ثم جاءت تقارير عالمية أشهرها تقرير « أدجارفور » (١٩٧٢م) تؤكد أهميته. والتربية المستديمة فكرة قديمة فقد سبق لعديد من المفكرين المناداة بها مثل « أرسطو » « وروسو » في كتابة أميل. كما أن ديننا الإسلامي قد نادى بها من قبل إذ قال ﷺ : « يظل المرء عالماً ما طلب العلم فإن ظن أنه علم فقد جهل » كذلك القول المأثور (اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد » كما أن الآية القرآنية الكريمة ﴿ **وقل ربِّ زدني علماً** ﴾(طه، آية ١١٤) تحمل هذا المعنى.

---

(١) نور الدين عبد الجواد ـ الجامعة والتعليم المستمر ـ دار العلوم ـ الرياض ١٤٠٣ هـ ـ ص ٣٠ .

(٢) عبد الله عبد الدايم ـ الثورة التكنولوجيا في التربية العربية ـ بيروت ـ دار العلم للملايين ١٩٧٤ ص ١٣٤ ـ ١٣٥ .

أهمية التربية

يعتبر موضوع التربية من أخطر وأهم المواضيع التي تواجه عالمنا المعاصر لِمَا للتربية من دور مؤثر على الأمم في صياغة فكرها وبناء مجدهاوسؤددها. إن قضية التربية في العالم الحديث هي بالدرجة الأولى قصة التحول الحضاري الذي حل بالأمم نتيجة لتطور العلوم والتكنولوجيا وأثرّ ذلك على شعوب الأرض جميعاً، وما يحققه من بناء عصري ـ للمجتمعات وتغيير في أسلوب التفكير وطريقة المعايشة والتلاؤم مع معطيات هذا التحول. كذلك تجسد عزم الأمم على تغيير واقعها بواقع يكفل لها الالتحاق بمسيرة الركب الحضاري العالمي وبناء شخصيتها القومية القادرة على تقبل التطور والإسهام بنصيب فيه بإبداعاتها الذاتية في جميع منتديات الفكر ومحافل المعرفة العالمية.

وتتميز أهمية التربية في الأمور التالية:

١ ـ رفع المستوى الفكري والعلمي:

إن أول مسؤوليات التربية واهتماماتها هو رفع المستوى الفكري والعلمي للأمة ومكافحة الأمية والقضاء عليها. ويتم ذلك: بفتح المدارس والمعاهد والجامعات، إجراء البحوث العلمية، إنشاء مدارس تعليم الكبار، لإشاعة المعرفة وتعميم التعليم والقضاء على الأمية، فالتربية كما ينظر إليها وسيلة لنشر العلم وترسيخ المعرفة وتمكين أفراد المجتمع لبلوغ أهدافهم الاجتماعية.

إن مسؤولية التربية هي تحويل الأمم إلى مجتمعات متعلمة لتحقيق الرقي الفكري والرخاء الاقتصادي وجعل التعليم مشاعاً لكل أفراد المجتمع دون تفريق لبناء المجتمع المثالي الحرّ الذي يؤمن بعقيدته ومُثُله وقيمه، ويقف دونها ويُضحي من أجلها.

إن المجتمع المثالي هو المجتمع الذي يجد فيه كل فرد الفرصة لتنمية قدراته الخاصة لتحقيق مطالبه الاجتماعية المنشودة، وهدف التربية هو توفير الفرص لجميع أفراد المجتمع لتنمية أنواع كثيرة من القدرات والاهتمامات الفردية عند الناس في كل الطبقات الاجتماعية ويعتبر (جيفرسون)« التربية ضرورية لبناء الإنسان العصري المتمكن بسلاح العلم وبعمق التجربة التي يستطيع بواسطتها معرفة ذاته ووجوده والقدرة على اتخاذ القرار الصائب في كل أمور حياته »(١).

غير أن (هوارس مان) العالم الأمريكي الشهير الذي عرف بلقب (أ ب التعليم) نظر إلى القضية نظرةً أعمق من ذلك فقد رأى أنها قضية أساسها الارتقاء الأخلاقي فكتب مرة يقول « لن تستقر الحكمة في دور التشريع، ولن يدون كلامها في سجل القانون حتى تخلق المدارس العامة ذكاءً أبعدَ أفقاً، وخلقاً أنقى لدى كل طلاب العلم وراغبي المعرفة مما ظهر حتى الآن في الولايات المتحدة الأمريكية(٢).

---

(١) أحاديث عن التعليم في أمريكا - ترجمة ليلى اللبابيدي - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٨٦ م ص ١٣ .

(٢) Twelfth Annual Reborth of the Board of Education Together with the Twelfht Annual Reborth of The Secrtery of the Board (Boston. Dutton and Wentorth) 1948 , P. 84

التربية نشاط للفكر وتهذيب للعقل وترقية للشعور الإنساني وما هي بالشذرات المتفرقة من المعلومات وإن الرجل الذي لا يمتاز إلا بالمعلومات الواسعة دون خبرة لهو أقل الناس نفعاً على وجه الأرض والذي ينبغي أن تهدف إليه التربية هو إعداد ذلك النوع من الرجال الذي يمتازون إلى جانب الثقافة والمعرفة بعمق الخبرة، لأن خبرتهم ستمدهم بالأساس الذين يبدؤون منه، وثقافتهم ستبلغ بهم أعماق الفلسفة وآفاق الفكر(١).

وتأكيداً لهذا المفهوم يقول الدكتور «النجيحي»: إن التربية لكي تكون فعالة يجب أن تضع المجتمع بجميع عوامله وإمكاناته في اعتبارها فتستجيب وتشارك وتساعد في تشييد المجتمع وتشكيله مستخدمة إمكاناتها كافة لإعادة البناء الاجتماعي وتحقيق العصرية(٢).

رفع المستوى الاقتصادي:

إن محرك التنمية في عصر التقدم التكنولوجي والعلمي خاصة لم يعد مجرد الثروة المادية أو الكتلة البشرية العددية التي تعمل في حقل التنمية، بل غدا أولاً وقبل كل شيء الخبرة العلمية والفنية العالية التي تلعب الدور الحاسم في مرحلة ما قبل الإنتاج والتي تستطيع وحدها أن تزيد في انتاجية أي مشروع وأن تجني من الموارد المالية والمادية والبشرية التي توظف فيه أكبر عائد وأقصى مردود.

---

(1) 1 -Whitehead Alfred North, The Aims of Education, Feree press paper back, Macmillan Company New york, 1977 p.p 34 ,35

(٢) د. محمد لبيب النجيحي - التربية والتقدم الاجتماعي والاقتصادي للدول النامية - دار نهضة مصر للطباعة والنشر ١٩٨٦ - ص ٣٣.

إن الخبرة العلمية التي تتمثل في الأفكار الجديدة والأساليب المتطورة للإنتاج في إدارة وتوظيف رأس المال الفعلي، هي في الواقع التي تقرر المستوى الذي يتقدم به الاقتصاد بمجمله، وهذا هو باب واحد من الأبواب التي يسهم بها التعليم العالي، ومن مؤسسات الأبحاث العلمية تنبثق الأفكار والأساليب الجديدة، ثم إن القوة العاملة تتألف من فئات ذات مهارات متفاوته، ويتضح يوماً بعد يوم أن المهارات التي يكتسبها الأفراد هي نتيجة التعليم والتدريب الأصوليين اللذين توفرهما عادة المدارس والكليات، وكلما أسرع في نقل المهارات الجديدة إلى أفراد القوة العاملة أصبح من الأيسر عليهم الإفادة من أساليب الانتاج الجديدة، وزاد احتمال مبادرتهم إلى تغيير أساليب الإنتاج وأساليب التنظيم وهذا هو الباب الرئيسي لإسهام التربية في النمو الاقتصادي(١).

لقد أكد (آدم سميث) وكذلك (مالتس) العلاقة القوية بين التربية والاقتصاد وأهمية التعليم والتدريب في رفع الكفاءة الإنتاجية للعامل وزيادة مهارته اليدوية، وأهمية التعليم أيضاً في أحداث الاستقرار السياسي والاجتماعي، وهو ما يعتبر شرطاً ضرورياً للتنمية الاقتصادية.

وأكبر مثال على ذلك ما حدث في كلٍّ من اليابان والدانمرك، فالبرغم من أن كلتيهما كان ينقصها المصادر والثروات الطبيعية. ومع هذا استطاعتا أن يحققا نموا اقتصادياً أسرع وأعلى من جيرانهما من الدول التي كانت تتمتع بمصادر طبيعية غنية، والسبب يعود في ذلك إلى التعليم ودوره في إنشاء اقتصاد متين ورفاهية اجتماعية(٢).

---

(١) جون فيزي ـ التعليم في عالمنا الحديث ـ تعريب محمود عبد الله الأكحل ـ منشورات الآفاق الجديدة ـ بيروت ١٩٨٤ م ـ ص ٣٦ .

(٢) . د. محمد منير مرسي و د. النوري ، القاهرة ـ تخطيط التعليم واقتصادياته ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٩٨٣ ص ١٥٣

رفع المستوى الحضاري والثقافي:

بما أن التربية هي عملية التكيف مع البيئة، فإنها تتفاعل أيضاً مع ثقافة المجتمع، كي تطبع الإنسان بطابع جماعته وتصقله بقالب ثقافته، وتقوم بتعزيز التراث الثقافي، والتلاؤم مع التغيير الحضاري ومخترعاته الحديثة، وهي تقوم أيضا بتوعية المجتمع وتبصيره نحو المضامين الجديدة والمحتوى الفكري الذي تجلبه عوامل التغيير الثقافي وإرشاده إلى الطرق التي يسلكها للتعامل مع هذه المعطيات الجديدة بدون أن يفقد هويته الأصلية.

فالتربية إذاً هي: التقدم الذي يجسد الماضي في الحاضر لصنع مستقبل يحافظ على الاستمرارية بدون أن يُحدث انقطاعاً حاداً بينه وبين الماضي. وهي: التنظيم الدينامي لما اكتسبته الجماعة والذي يساعد الفرد على الاندماج بمجتمعه بشكل وثيق ومفيد والاستفادة من مكاسب الحضارة والتغيير الثقافي(١).

يقول الدكتور «كول برمبك» ـ إن التربية من أجل التطور لابد أن تكون تربية على كل المستويات في المجتمع، فالتربية لا يمكن أن تفيض في قنوات منفصلة إنما تزداد قوة كلما جمعت روافد صغيرة لتصب فيها(٢).

إن التربية من أجل الجميع هي أكثر من طموح ديمقراطي إنها ضرورة إذا أرادت التربية أن تحقق وظيفتها كعامل في رفع المستوى الثقافي الحضاري للمجتمع(٣).

---

(١) التنمية الثقافية ـ تأليف مجموعة من المفكرين ـ ترجمة سليم مكسور ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ١٩٨٣ ص ٥٠، ٥١.

(٢) التربية والتقدم الاجتماعي ـ مرجع سابق ـ ص ٣٩٠.

(٣) المرجع السابق ـ ص ٤٠٠.

إن التربية الحديثة تواجه عالماً من الحاجات البشرية ، إن الحاجة للمعرفة لم تكن أعظم مما هي عليه الآن، والحاجة لمعرفة أكثر عن الإنسان: مرضه وصحته، فقره وغناه، عقيدته ومُثُله العليا، كلها تُوحي بواجب التربية الكبير الذي يجب أن تقوم به فهي أداة يمكن أن تستخدم إمّا للخير وإمّا للشر، ويجب علينا أن نتعلم استخدامها للخير.

إن من أولى مهمات التربية صياغة الحياة الفكرية للأمة، تجمع لها في طيها طرفين، إذ تحافظ لها على خصائصها الأصلية ، وفي الوقت نفسه تفتح لها الأبواب لاستقبال أسس الحضارة العصرية كما يحياها اليوم روادها. كذلك عليها مهمة إثراء الخبرة الإنسانية ودفع طاقات الأمة لأهداف أكثر إبداعية والاستفادة من الإنجازات التكنولوجية التي وفرت للإنسان أسباب الراحة والمتعة واستعمالها لرفاهية الأمم وسعادة البشرية(١).

(١) د. زكي نجيب محمود ـ ثقافتنا في مواجهة العصر ـ دار الشروق ـ القاهرة ـ ١٤٠٢ ص ٥٤ .

openkandl.com

الثقافـــــة

معنى الثقافة

للثقافة معنيان: أحدهما: لغوي، والآخر: اصطلاحي.

أما المعنى اللغوي للثقافة (**culture**) فهو أنها تعني: الرقي العقلي، وهي تعني: العلوم والمعارف والفنون التي يجب على الفرد الحذق فيها[١].

ويعرِّف (تيلر) الثقافة بأنها مركب كلي يتضمن ألوان المعرفة والمعتقدات والأخلاق والعادات والقوانين والفنون وغيرها من الأمور التي يكتسبها الفرد أو يتشربها كعضو في المجتمع. وقد خضع هذا التعريف فيما بعد لمزيد من التدقيق والتفسير. ومن أوائل التعريفات الحديثة للثقافة ما يقدمه لنا « روبرت فيلد » (١٨٩٧ - ١٩٥٧) إن الثقافة شكل منظم للتفاهم الجماعي المتعارف عليه يأخذه الخلف عن السلف[٢].

ويعرف سرحان الثقافة « أنها طريقة الحياة في المجتمع بجوانبها المادية كالآلات والإنشاءات والأزياء وغيرها، والمعنوية كاللغة والأدب والفن والدين وغيره وهي من صنع الإنسان في سعيه للتكيف مع البيئة الطبيعية والاجتماعية لإشباع حاجاته العضوية والعقلية والنفسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفنية كما أنها تتمثل في قيم الحياة واتجاهاتها ومعاييرها الحاكمة وفي طرق التفكير وأنماط الفكر»[٣] ويشمل كذلك المعتقدات والتوقعات

---

(١) د. عبد الغني عبود - التربية الإسلامية وتحديات العصر، القاهرة، دار المعارف ١٩٧٩ - ص ٣٠ .

(٢) محمد منير مرسي - أصول التربية الثقافية والفلسفية، القاهرة، عالم الكتب ١٩٧٩ - ص ٩٦ .

(٣) عبد اللطيف فرج - مذكرات علم الاجتماع التربوي - جامعة الملك سعود - عام ١٤٠١ ص ٣٨ .

والعلاقات التي تنظم تعامل الناس في حياتهم وفي أنماط السلوك ومصطلحاته بين الناس في المجتمع، ونظمه وأجهزته ومؤسساته، والثقافة تتناقلها الأجيال المتعاقبة عن طريق الاتصال والتفاعل الاجتماعي لا عن طريق الوراثة البيولوجية، وهي ما يتعلمه الخَلَف من السَلَف، عن طريق الاتصال اللغوي والخبرة بشؤون الحياة والممارسة لها عن طريق الإشارة والرموز[١].

وتشير المعاجم العربية في كلامها عن مادة (تقف) إلى المعاني العربية لها فتقول: (ثقِف الشيء) بكسر القاف، أي ظفربه... وفي التنزيل الحكيم: (واقتلوهم حيث ثقفتموهم)أي حيث ظفرتم بهم. وثقّف الرجل صار حاذقاً فطناً، وثقّف الشيء (بتشديد القاف) أقام المعوج منه وسواه.. وثقف الرجل ولده، أدبه وهذبه وعلمه. والثقافة هي: العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها.. وهي كلها معان تقترب من المعنى الذي يشيع استخدامه على ألسنتنا وفي كتاباتنا[٢].

---

(١) المرجع السابق ص ٣٨ .

(٢) المعجم الوسيط، ص ٣٥٠ .